المسؤولية ، تؤديان ، بالتأكيد ، الى تصدع الوحدة الوطنية ، والى احتدام الصراعات الفكرية والسياسية وغيرها .

٥ ـ ان هذه التجربة الديمقراطية الرائدة ، التي كشفت حركة فتح عن ممارستها لها ، ضمن أرقى الأشكال والقوانين ، كان لها أكثر من وقع ؛ فهي ، على صعيد أنظمة الحكم الفردية المتسلطة ، تثير السخط والكراهية والحقد ، وقد تثير ما هو أكثر من ذلك ، المحاربة العلنية أو السرية من قبل مثل هذه الأنظمة . ان الذين يسجنون مواطنيهم في الغرف السرية المظلمة وفي الأقبية الرطبة ، ولا يسمحون بفتح نوافذ سجونهم على الهواء الطلق والشمس والخضرة اليانعة ، على الحرية . هؤلاء يعتبرون « روضة » الديمقراطية عدوى خبيثة ، يدفعون كل ما يملكون لاستئصال شأفتها ، وترتعد فرائصهم خيفة شيوعها في أقطارهم .

وهي على صعيد الجماهير المحرومة من شمس الحرية تثير الرعاية والاعجاب؛ فالشعوب المضطهدة المقهورة المغلوبة على أمرها تدرك اهميتها وضرورتها ، وليس من شك في ان اعجاب الجماهير ورعايتها ، أهم كثيراً من غضب الانظمة ، ذلك ان الجماهير هي مصدر قوة الثورة دائماً ، وهي محركها ووقود لهيبها . إضافة الى أن طموح الثورة الفلسطينية ، يتلخص اساساً في احداث التغيير الذي يقود ، دون شك ، الى تعزيز المسيرة ، والى امتداد الثورة في العمق العربي . الأمر الذي يقرب مسافة النصر ومسافة التحرر والتحرير .

بقيت نقطة أود الاشارة اليها قبل ان اختتم مقالي عن الديمقراطية .. والخوف من الديمقراطية . ففي بداية هذا المقال طالبت بأن يكتب الكثيرون عن المؤتمر العام الرابع لحركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح ، لعلمي واعتقادي بأن في هذا المؤتمر من الزخم والدروس ما يلفت الانتباه ويستحق عناء البحث والدراسة والتحليل .

والآن وبعد ان حاولت التطرق الى مسألة من اهم المسائل وأخطرهـا في وطننا العربي ، ألا وهي مسألة الديمقراطية .. والخوف منها . فانني أدعو بالحاح أكبر الى الكتابة . لكن ليس من منطلق التحيز الاعمى والعداء البغيض .

وقولي عائد إلى انني قرأت « فُتاتاً » كتب عن مؤتمر فتح ، هنا وهناك ، أرى انه ينطلق من الاحقاد اكثر مما ينطلق من محاولة المعالجة العلمية . ففيه تشويه متعمد احياناً ، وفيه معلومات مضللة احياناً أخرى .

لا اريد الاطالة ، ولا المزيد من التعنيف وانما اقول ان مؤتمر فتح مفخرة فلسطينية تستحق ان نتناولها بالبحث ، بكل ما تعنيه هذه الكلمة ؛ خصوصاً في هذا الزمن العربي الغارق في القمع والارهاب الفكري والجسدي ، تمارسه الديكتاتوريات على أوسع الجماهير .

وليس من مصلحة أحد ، سوى أولئك الذين هم على غير اتفاق مع الديمقراطية ، النيل من هذه المفخرة .